

## العباب الزاهر واللباب الفاخر

وطريقة نشره المثلى

لئن كان علماء اللغة في شرقنا قد خالطوا الأعراب وجمعوا شوارد اللغة ونوادرها ، وهم بمدّ الرواد الأقدمين من علماء اللغة : أبو بكر دريد في جهرته وأبو منصور الأزهري في تهذيبه ، فإن المغاربة من علماء اللغة الأندلسيين كالزبيدي<sup>(١)</sup> وابن التبان وأبان بن السيد القرطبي لم يقصروا في خدمة اللغة فجاروا إخوانهم المشاركة ، وأنجوا من مصنفات اللغة ما هو بالتقدير جدير .

ثم طرّس على آثارهما الجوهري ، واحمد بن فارس وأضرابها فخرروا المفردات وفسروها ، ثم نشأ في القرن السادس ابن سيده فألف التخصيص على الأجناس ، وهو في الحقيقة من أجل ما كتب في معناه وكأنه جمع في سفره هذا جميع مصنفات الأقدمين التي لم يستطيعو ترتيبها كما يجب ، ثم رأى أن يجمع هذه المفردات المبعثرة ويرتبها ترتيب العين فجمع شواردها في نحو عشرين مجلداً ، ولسوء الطالع أن هذا المعجم الضخم وهو (الحكم) لم تصل أبدي المشاركة إليه إلا في أواخر القرن السادس أو السابع ولعل الإمام الصّغاني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ لم تبلغه معاجم ابن سيده ولا كتاب أبان وغيره من مؤلفات الأندلسيين ، كما أن ابن سيده البصير لم يصل إليه لسوء الحظ تهذيب الأزهري مما يدل على أن المشاركة لم يطلعوا على ما صنّف بالمغرب

(١) محمد بن الحسن عبيد الله بن مسحج الزبيدي الأندلسي الأشيلي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ .

من أصفار اللغة إلا آخر القرن السادس ، كما أن هؤلاء الأئمة من المغاربة لم يبقوا على ما كان ألفه المشازقة المحققون في ديارنا إلا في القرن السادس . وهذا صاحب اللسان عبد الله محمد بن المكرم الذي خلق بعد ابن سيده بنحو قرنين ، ومع ذلك لم يتوقفوا للاستفادة من محكم ابن سيده ، وقد بث الله يدهم في حرمها الله من تولى الجمع بين المحكم والتهذيب والصاح في عهد الملك المعظم ابن الملك العادل ، فجمع بين المحكم والتهذيب والصاح ، بيد أنه مع كل هذه الجهود اللغوية لم ينشأ في القرن السادس وأوائل السابع رجلٌ عني يجمع شوارد هذه اللغة وفوائدها من جميع الكتب التي ألفها الرواة الأقدمون ثم أفنى عمره في الاشتغال بهذا الأمر الخطير ، ولم يستغل بغيره ، ووقف على خزائن دور العلم ببغداد التي كانت تجمع ما صنفه المسلمون حتى كارتة هولاء كوا ، لم يتوفر ذلك كله لغير الإمام الصاغاني فألف تكملة الصاح للجوهري ، جاءت في ضمني تجميد وجمعها في ست مجلدات ضخمة سماها بجمع البحرين ، ثم رغب إليه الوزير ابن العلقمي في تأليف كتاب جامع لما تفرق من شذور اللغة وشواردها ، فلبى الطلب الذي بهواه وصنف لنا العباب الزاخر إلى أت وافاء يومه ، وقد بلغ مادته (بكم) . فقال فيه بعض حساده :

إت الصغاني الذي حاز العلوم والحكم  
كان قصارى أمره أن انتهى إلى (بكم)

بذلك يظهر لنا أنه ليس لدينا من نفول عليه في اللغة العربية الصحيحة ضرب الإمام الصغاني . ذلك الذي تضح علمه وجمع شوارده اللغة وفوائدها ، لأنه كان في القرن السابع الذي لم يؤلف في اللغة أحد مثله ولا من جاء

من بعده ، وهذا هو السبب الذي من أجله نمتقدُّ أنه لا أنفع ولا أصلح من نشر العُباب الزاهر والأُباب الفاخر ؛ ومن بين الطالع أن منه عدة نسخ في الخزائن ومنها ، ما هو بخطِّ المؤلف ولا غاية لاستزيد وراءها ، وخطُّه الفسخي جميل ، كتبه بغاية الخُذْقِ والتحصيص مما لم نجد له نظيراً ، فمن واجب العرب العلمي والقومي بل من أجل أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق ، وقد خلق لحياء لسان العرب أن يؤلف لجنة لغوية تتألف من حذّاق اللغة وعشّاقها لتقوم بنشر هذا السفر الجليل وبالأعمال العلمية التالية .

أن يعارض العُباب بسائر مؤلفات الصاغاني التي منها والله الحمد نسخٌ في الأرض جليّة ثم يعارضُ بمحكم ابن سيده ولا مناص من ذلك ، وحينئذ تبلغ اللجنة اللغوية مادة (بكم) تنبئ هذه المادة وما بعدها من الأحرف القليلة الباقية بالرجوع إلى كتابه مجمع البحرين بعد معارضة ما فيه بالتكلمة والحاشية وصلتها وبالمحكم أيضاً ، مع مراجعة لسان العرب وتاج العروس وغيره من كتب اللغة الصحيحة وتدوّن الملاحظات في الخواشي ، وتستمر هذه اللجنة اللغوية المباركة على عملها هذا إلى أن يتمّ العُباب فيتم لنا بتامه ( كتاب اللغة العربية ) الذي لا ينوب عنه التاج ولا اللسان ولا غيرهما مما لم يتوفر لأحد من أئمة اللغة المحققين الأثبات ما توفر لإمامنا الصغاني العمري الذي لم تفتح العين على مثله رحمه الله ، وهذا لعمرى تأويل رؤيا الحمد الذي أخذ في تأليف معجم ضخّم سماه ( اللامع المَعْلَم العُجاب الجامعُ بين المحكم والعُباب ) ولم يسن له تصنيفه ولم أر منه نسخة أو جزءاً في الخزائن التي وقفت عليها .

عبد العزيز الميني

م (٤)

www.alukah.net